وتناقض مدلولها اللغوي مع المعنى الذي استخدمت فيه هنا. ويتكرر الأمر «سحقاً»، وهو هذه المرة أشد عنفاً. سحقاً لهؤلاء... ويصفهم بكلام مرسل لا يحتاج إلى أيّ تأكيد نافياً عنهم اية صفة من صفات الملوك...

يبدو، وبوضوح، ان الشاعر، عبر استخدامه اكثر من اسلوب، وعبر علاقات عقدها بين الكلمات، وصل إلى غرضه، إذ أوصل متلقّيه إلى الاقتناع بضرورة استمرار الثورة ووجوب عدم طاعة هؤلاء الملوك وإلى الاحساس بضرورة الثورة عليهم... وهذا ما كان مطلوباً في تلك المرحلة التاريخية. بديهيّ ان الشاعر لم يفكّر بالأساليب التي ابتدعها كما انه لم يضع الكلمات جانباً وراح يرصفها الواحدة إلى جانب الأخرى وفق أفكار مسبقة. وانما هي حالة تكوّنت بفعل التجربة الوطنية العامّة وتفاعل الشاعر معها. وجاء التعبير عن هذه الحالة صادقاً محققاً الغرض منه. ثم يخاطب الشاعر الملوك، فرداً فرداً، مؤيّداً موقفه بالبراهين والبيّنات، ويصل إلى القول:

بل حرّروه من الملوك وحرّروه من العبيد

وهذه دعوة ولا شك شديدة الجرأة، في تلك الأيام، ولكنها كانت على مستوى مسؤولية الشاعر وفهمه لدوره.

موضوعات النكبة

حدثت النكبة. الملابسات رُويت كثيراً وصار معظمها معروفاً لدى الجميع... هُجِّر «الحمام» من الوادي المقدّس إلى المنفى؛ حيث عاش لاجئاً ينتظر العودة الموعود بها... ومرّت السنون السود. يقول الشاعر: «وبتاريخ ٢٨ نيسان سنة ١٩٤٨ غادرت عكا إلى دمشق عن طريق ترشيحا والجبل ومعي مفاتيح البيت والمكتب للعودة السريعة، خلال اسبوعين، كما وعدت الدول العربيّة... ولا تزال المفاتيح تنتظر العودة مع اصحابها إلى فلسطين»[٢٥].

بقيت المفاتيح تنتظر الأيدي، راقدةً، ترقب الوعود... بقيت منكّسة، في الادراج، في جيوب السراويل، وفي زوايا المكاتب... ثم استطالت أخيراً بنادق بيد الثوار... ولكن كان ليل الانتظار طويلاً. كان أقسى فترة عرفها شعب في التاريخ. ولنقرأ هذه الأبيات لعلنا نجد فيها تجسيداً لبعض معالم ليل التشرّد:

انكرتنا السماء والأرض والأهل!... فهل هكذا يكون الصنيع
وترامت أشلاؤنا داميات وحلا للأحبّة التقطيع
كل شِلو على ثرىً عربي أجنبيّ ينزّ منه النجيع
والسؤال الحاني على شفتيه يا فلسطين!... هل إليك رجوع
(ص٢٧٦)

لم يكن وقع النكبة سهلاً. كانت مأساة قلّما عرف مثلها التاريخ الإنساني. وإن كنّا لا نريد إيقاف الصّحب... فإننا، في الوقت نفسه، نريد إيضاح حقيقة إنسانية تتعلّق بوقع